جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

المقاصد الدعوية من خلال آيات الحكمة في القرآن الكريم

{دراسة موضوعية تحليلية}

إعداد

دكتور: محمد أحمد محمد جاد الرب

الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن

كلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح- جامعة المجمعة

المملكة العربية السعودية

E- mail: mmohammed@mu.edu.sa

jadarrab٩٩@hotmail.com

العدد السابع

١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م

المقاصد الدعوية من خلال آيات الحكمة في القرآن الكريم {دراسة موضوعية تحليلية}

محمد أحمد محمد جاد الرب

قسم: التفسير وعلوم القرآن كلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح – جامعة المجمعة

مدينة رماح الدولة: المملكة العربية السعودية

البريد الالكتروني: mmohammed@mu.edu.sa

jadarrab٩٩@hotmail.com

ملخّص الدراسة

المقاصد القرآنية عديدة كثيرة أبرزها إخراج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى عبادة الواحد الأحد، والدعوة إلى الله تحتاج إلى صبرٍ ومثابرة، كما أنّها تحتاج إلى اختيار الوقت والزمان المناسبين؛ ليصل الداعية إلى الهدف المنشود، وكتاب الله علّمنا كيف ندعو، ونصبر على المدعوين، وكيف نستخدم الحكمة، وقد استعمل القرآن الكريم الحكمة في جانب الدعوة كثيراً، وفي هذا دلالة واضحة على أنّ أمر الدعوة إلى الله يحتاج إلى حكمة وقولٍ لينٍ يسبقه صبراً جميلاً، من هنا طرأت فكرة البحث بعنوان: المقاصد الدعوية من خلال آيات الحكمة في القرآن الكريم.

تكوّن البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة. تناولت في المقدمة أهداف البحث، وأهميته، ومشكلته، وحدوده، والدراسات السابقة، وفي المبحث الأول: مفهوم المقاصد والدعوة والحكمة وفيه ثلاثة مطالب: تعريف المقاصد في اللغة والاصطلاح، وتعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح. وتعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح. المبحث الثاني: رعاية مقاصد الدعوة في الجانب التشريعي وفيه ثلاثة مطالب: مقصد التدرّج في الأحكام، ومقصد قلة التكاليف، ومقصد التيسير ورفع الحرج، والمبحث الثالث: رعاية المقاصد في آيات الدعوة وفيه ثلاثة مطالب: مقصد الاستجابة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومقصد هداية الناس، ومقصد نشر الدين، والخاتمة: وتشمل أهم النتائج، والتوصيات.

أهم النتائج والتوصيات: دعوة الناس إلى دين الله، وحثّهم على التمسك به، مقصد قرآني أصيل. الحكمة في كل أمرٍ مطلوبة وفي الدعوة إلى الله تظهر الحاجة إليها بجلاء.

يجب علينا الاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعي في خدمة الدعوة ونشر دين الله. كما يجب على الدعاة تبسيط لغة الخطاب في دعوتهم للبسطاء من الناس، مراعين حال

المدعوّين. وعلى الداعية أن يقتدي بالحبيب المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في كل شيء، إذ الناس لا ينظرون إلى ما تحملُ من علمٍ أو معتقدٍ بقدر ما يقتدون بأخلاقك وما تظهره من أفعالٍ

كلمات مفتاحية: الدعوة – المقاصد – الحكمة – التشريع -التدرّج – التيسير.

Advocacy objectives through verses of wisdom in the Noble Qur'an {Analytical Objective Study}

Mohamed Ahmed Mohamed Gadarrab

Department of: Tafsir and Qur'an Sciences faculty of: Sciences and Human Studies in Ramah –

University: Majmaah city: Ramah country: Kingdom of Saudi Arabia

Email: mmohammed@mu.edu.sa

jadarrab٩٩@hotmail.com

Abstract

The Holy Quran is filled with many objectives, including monotheism, prophecies, doomsday, promises and threats, and stories. Monotheism in this context is like a tree from which the other objectives branch out. Therefore, we learn that the call to Allah is based on an absolute belief in His oneness and in that He is the only One to Whom we should direct our worship. The title of this paper is "The Objectives of the Call to Islam through the Wisdom Verses in the Holy Quran". The paper is divided into an introduction, three sections and a conclusion. The Introduction presents the study aim, significance, reasons for choice of subject, the research questions, the previous literature, and the research method. Section ١includes definitions of the terms "objectives, call, and wisdom". Section ٢is entitled "Observation of the Objectives of the Call to Islam" and it discusses three objectives: the gradual application of rulings in Islam; the fewness of religious duties; and facilitation and lifting embarrassment. Section ٣, "Observation of the Objectives of the Call Verses in the Call to Islam", deals with three objectives: responding to the orders of Allah and His Messenger, prayers and peace be upon him; providing guidance to people; and disseminating the religion of Islam. Finally, the Conclusion presents the results and

recommendations of the study, the most important of which are as follows:

- Calling people to Islam and urging them to stick to it is an original Quranic objective؛
- Wisdom is required in all affairs, and is most prominent in the call to Allah؛
- Tolerance, leniency and forgiveness are qualities that distinguish the caller to Islam from others؛
- We should make use of the social media in serving the call to Islam and disseminating the religionof Islam؛
- Callers to Islam need to use a simpler discourse in calling and preaching common people, thus observing the cultural and educational situation of the people they are calling .

Key Words: Call to Islam, Objectives, Wisdom, Islamic Sharia, Gradual Application, Facilitation.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله النبي الأمين. وبعد:

فإن الله أرسل الرسل؛ ليدعوا أقوامهم إلى الإيمان به وترك ما هم عليه من عبادة غير الله، والداعية يدعو إلى الله على بصيرة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف: ١٠٨]. أي على يقين، وبصيرة الداعي إلى الله المتبع لمنهج نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ تكون شاملة لكل أمور دعوته، من معرفة ما يدعو إليه والعلم به، ومعرفة حال المدعو، ودعوته بالرفق واللين، واختيار المكان والوقت المناسبين لبيان دعوته، ومعرفة مقاصد الدعوة الكبرى، وغاياتها، لما في ذلك من وضوح الطريق في دعوة الداعي.

على هذا النهج جاءت فكرة **موضوع البحث** بعنوان: المقاصد الدعوية من خلال آيات الحكمة في القرآن الكريم، ولا نقصد الآيات التي حملت كلمة **الحكمة فقط** وإنما نقصد كل الآيات التي تحمل مقاصد الدعوة وإبرازها في ثوب جميل يهتدي به الساري في طريق البحث على الصراط المستقيم، سواء التي خاطبت المسلمين أو تلك التي دعت أهل الشرك والكفر إلى توحيد الله والاعتصام به، أو تلك التي دعتهم إلى الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن؛ إذ المقصد الإيمان بالله تعالى والهداية والنجاة من عذاب الله يوم القيامة. وقد وردت كثيرٌ من الآيات تحمل كلمة الحكمة مقرونة بالكتاب جاء في أبرز معانيها أنها تعني: سنّة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٥١] وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[آل عمران : ١٦٤].وقوله سبحانه:﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩]، وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾

[آل عمران: ٨١]، وقوله سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [النساء: ١١٢]،وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة:٢].

وقد جاءت كلمة الحكمة مفردة في قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩] وفي قوله سبحانه عن داود عليه السّلام: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص:٢٠].والحكمة هي إصابة مواقع الحق في القول والعمل، وعلى فهي ضرب من الهداية والتوفيق، يرزقهما الله من يشاء من عباده.

مشكلة البحث: يعالج البحث القضايا الكبرى في الدعوة إلى الله من خلال آيات القرآن الكريم مجيباً على الأسئلة التالية:

- ما هي مقاصد الدعوة إلى الله؟
- ما الحكمة التي ينتظر الدعاة استخدامها في الدعوة إلى الله؟
- ما الفائدة من معرفة هذه المقاصد؟

حدود البحث: تنحصر حدود البحث في استنباط المقاصد من آيات الحكمة مستنداً على مقاصد الدعوة في جانب التشريع، ورعاية المقاصد في آيات الدعوة.

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى:

- إبراز مقاصد الدعوة إلى الله في ثوبٍ قشيب
- إثبات أن القرآن الكريم أصل الأصول ومنه تستمد جميع العلوم والمعارف.
- إثبات أن دين الله سهلٌ ميسور ليس كما يصوره البعض من الدعاة.
- بيان أن الحكمة في الدعوة إلى الله أمر في غاية الأهمية.

منهج البحث: المنهج المتبع في البحث التحليلي، والاستنباطي مع العزو والإحالة.

أهمية الموضوع:

- العلم بالمقاصد الدعوية في الكتاب والسنة تجعل دعوة الداعي إلى الله تسير بثبات وثقة
- معرفة مقاصد الدعوة من الكتاب والسنة تجعل الداعية إلى الله مرتبطاً بالكتاب والسنة.
- كثرة الغلو والتطرف من بعض المنتسبين إلى حقل الدعوة.
- حاجة الناس إلى تبسيط الخطاب الدعوي في عصر التكنولوجيا.

الدراسات السابقة:

تناول الكتاب والباحثون أمر الدعوة من زوايا متعددة خاصة في الجانب الفقهي، وكذلك مقاصد الشريعة، لكن موضوع مقاصد الدعوة من خلال آيات الحكمة لم أقف على من كتب فيه من خلال متابعتي واطلاعي، لكن من خلال اطلاعي وقفت على الآتي:

١. مقال على الإنترنت في موقع شبكة الإمام الآجري، بعنوان: مقاصد الدعوة إلى الله تعالى عند أهل السنّة والجماعة، لكاتبه: أبو أروى أسامة الجزائري، تناول فيه: مقصد التوحيد، ومقصد تحقيق السنة.

٢. بحث كتب بعنوان: فقه مقاصد الدعوة إلى الله وأثره في حياة الداعية. رسالة ماجستير قدمت في جامعة أم القرى في العام ١٤٣٢هـ. تناول فيه كاتبه أبرز مقاصد الدعوة إلى الله، وإعداد الداعية، وأثر فقه مقاصد الدعوة في حياة الداعية.

خطة البحث: تتكون خطة البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، خاتمة. المقدمة اشتملت على: أهمية البحث، وأسباب اختياره، وإشكاليته، ومنهجه، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: مفهوم المقاصد والدعوة والحكمة وفيه ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: تعريف المقاصد في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: تعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: رعاية مقاصد الدعوة في الجانب التشريعي وفيه ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: مقصد التدرّج في الأحكام.

المطلب الثاني: مقصد قلة التكاليف.

المطلب الثالث: مقصد التيسير ورفع الحرج.

المبحث الثالث: رعاية المقاصد في آيات الدعوة وفيه ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: مقصد الاستجابة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: مقصد هداية الناس.

المطلب الثالث: مقصد نشر الدين.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج، والتوصيات.

المبحث الأول:

مفهوم المقاصد والدعوة والحكمة

المطلب الأول: تعريف المقاصد في اللغة والاصطلاح

المقاصد لغة: جمع مقصد.يقال: قَصد يقْصد قَصداً ومقْصداً من باب "ضرب"، والقصد :الاعتماد، والأَم، والتوجه، والغرض، والإرادة، وإتيان الشيء. والقَصْدُ في المَعِيشَةِ: تَرْكُ الإِسْرافِ من غَيْرِ تَقْتِيرٍ. والقَصِيدُ من الشَعْرِ: ما تَمَ شَطْرُ أَبْنِيَته، وهو مأخوذ من قَصَدَ الشَيْءَ: أي كَسَرَه [1]. وأقرب المعاني منها للمعنى الاصطلاحي هو معنى الأم والتوجه.وموقعها في كلام العرب، الاعتزام أو التوجه والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور، هذا أصله في الحقيقة [2] كما تعني العدل والتوسط أو الاعتدال والوسطية، ومن ذلك قول الله تعالى:﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾{لقمان:١٩}، وقوله: -ﷺ- «القصد القصد تبلغوا»[3].

المقاصد اصطلاحاً:

عندما نبحث عن تعريف المقاصد نجد أن التعريفات تنصرف مباشرة إلى المقاصد الشرعية، وقل أن تجد تعريفا محدداً أو دقيقا للمقاصد يحظى بالقبول والاتفاق من قبل كافة العلماء أو أغلبهم. ولعل أبرز من عرفها الشيخ الطاهر ابن عاشور في أحد أقسامها بقوله: "مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة ، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضا معاني من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها "[4]،وتبقى الإشارة في هذه الدراسة

---

١)المحيط في اللغة، الطالقاني، (٥/ ٢٥٦). وتهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، (٨/ ٢٧٤).

٢) لسان العرب، ابن منظور،(٣/ ٣٥٥). معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، عبد المنعم (٣/ ٩٦).

٣) الجامع الصحيح، البخاري، (٨/ ٩٨/ ٦٤٦٣).

٤) مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ص٥١.

إلى علاقة المقاصد بفهم القرآن وتفسيره، ذلك أن العلم بمقاصد الشريعة ليس مقصودا لذاته، و إنما يراد به – فيما يراد – إعماله واستثماره في فهم النصوص الشرعية وتوجيهها ، ونحن بصدد التركيز على مقاصد القرآن سيما المقاصد الدعوية.

المطلب الثاني: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً

تعريف الدعوة لغة: الطلب، يقال: دعا بالشيء طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء: حث على قصده، ودعوت زيدا: ناديته وطلبتُ إقباله، ويقال: دعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى القتال، ودعاه إلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه، وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا[1].

و"المؤذن داعي الله، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته[2]، قال عز وجل مخبراً عن الجن الذين استمعوا القرآن وولوا إلى قومهم منذرين، قالوا: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحقاف:٣١].

والدعاء إلى الشيء الحث على قصده، ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف –عليه السلام–قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾{يونس:٢٥} .ومن هذا يتبين لنا أن الدعوة في اللغة تستعمل في الخير والهدى كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾{يوسف: ١٠٨، والدعوة الطلب والنداء والدعاء والتجمع والاستمالة.

تعريفها اصطلاحاً هي: تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة. وقيل: هي دين الله الذي بعث به الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام –جميعاً، تجدد على يد محمد –صلى الله عليه وسلم–خاتم النبيين، كاملةً وافيةً لصلاح الدنيا والآخرة .

---

١)لسان العرب، ابن منظور، (١٣ / ٢٥٨)، والقاموس المحيط،الفيروز آبادي ص ١٦٥٤، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (١ / ١٩٤).

٢)المصباح المنير،الفيومي:(١/ ١٠٣).

وقيل: هي دين الله الذي ارتضاه للعالمين؛ تمكيناً لخلافتهم، وتيسيراً لضرورتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعايةً لشؤونهم، وحمايةً لوحدتهم، وتكريماً لإنسانيتهم، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم. [1].

موضوعها: الدعوة في ميادين الإسلام.

حكمها: اتفق العلماء على أنها واجبة، واختلفوا في نوعية الوجوب، هل هو على التعيين أم على الكفاية؟ وأُجيب بأنّ الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية، بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطرٍ وكل إقليمٍ يحتاجُ إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة، وعملا صالحا جليلا. وإذا لم يقم أهل الإقليم، أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام، صار الإثم عاماً، وصار الواجب على الجميع [2].

أساليب الدعوة:

١) الحكمة: قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ [النحل:١٢٥].

١) الموعظة الحسنة، وهي التي تجعل المدعو يقبلها ويحبها وهي التي تكون:

١- بالتعريض: "ما بال أقوام".

٢- الترغيب والترهيب.

٣- التذكير بالنعم.

٤- التذكير بالإشارة اللطيفة.

٥- الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر.

---

١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الراوي : محمد عبد الرحمن، ص: ١١-١٢.

٢)الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، ص ١٤.

٦- الإعلام.

٧- التّأليف، والكتابة، والتّحقيق، والتّخريج.

٨- دروس المساجد.

٩- الخروج إلى القرى والمساجد والمدن.

٢) المجادلة بالتي هي أحسن وتكونُ:

١٠- بالجدل، والحوار، وإقامة الحجّة.

١١- المناظرات العلمية.

١٢- دعوة أهل الكتاب بالحوار، والمناقشات العلمية.

١٣- استخدام العلم، ونظريّاته، واكتشافاته.

١٤- الاهتمام بالرّوح، وتزكية النّفس، وأعمال البرّ[١].

أهداف الدعوة:

١- إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

٢- ابتغاء رضوان الله تعالى والأجر منه سبحانه والجنة.

٣- إقامة شرع الله في أرضه.

٤- إقامة الحجة والإعذار.

٥- تثبيت الداعية على الحق والدعوة.

قال ابن القيّم-رحمه الله تعالى-: "إذا كانت الدّعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلّها وأفضلها فهي لا تحصّل إلّا بالعلم الّذي يدعو به وإليه، بل لا بدّ في كمال الدّعوة من البلوغ في العلم، إلى حدّ أقصى يصل إليه السّعي، ويكفي هذا في شرف العلم أنّ صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء[٢].

---

١) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، الخياط، (١٠٤، ١٠٥).

٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: ابن قيم الجوزية (١/ ١٥٤).

المطلب الثالث: الحكمة لغة واصطلاحاً:

جاءت كلمة الحكمة في اللغة بعدة معان، منها:

١ -تستعمل بمعنى: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل.

وأحكم الأمر: أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد [١].

٢ -والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويُقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويُتقنها: حكيم [٢].

٣ -والحكيم: المتقن للأمور، يقال للرجل إذا كان حكيماً: قد أحكمته التجارب [٣].

٤ -والحَكَمُ والحكيم هما بمعنى: الحاكم، والقاضي، والحكيم فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يُحكِمُ الأشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى: مفعل [٤].

الحكمة اصطلاحا: قال بعضهم: الْحِكْمَة: هِيَ الْعدْل وَالْعلم وَالْحكم والنبوة وَالْقُرْآن وَالْإِنْجِيل: وَوضع الشَّيْء فِي مَوْضِعه، وصواب الْأَمر وسداده وأفعال الله كَذَلِك، لِأَنَّهُ يتَصَرَّف بِمُقْتَضى الْملك فيفعل مَا يَشَاء، وَافق غَرَض الْعباد أم لَا. وَفِي عرف الْعلمَاء: هِيَ اسْتِعْمَال النَّفس الإنسانية باقتباس الْعُلُوم النظرية واكتساب الملكة التَّامَّة على الْأَفْعَال الفاضلة قدر طاقتها [٥].

وَقَالَ بَعضهم: الْحِكْمَة هِيَ معرفَة الْحَقَائِق على مَا هِيَ بِقدر الِاسْتِطَاعَة، وَهِي الْعلم النافع الْمعبر عَنهُ بِمَعْرِفَة مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا الْمُشَار إِلَيْهِ بقوله تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا [البقرة: ٢٦٩]﴾ [٦]

---

١ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (١٢/ ١٤٣)، ومختار الصحاح، مادة: حكم، ص٦٢.

٢ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات، (١/ ١١٩)، ولسان العرب لابن منظور، (١٢/ ١٤٠)، والمعجم الوسيط، مادة: حكم، ١/ ١٩٠.

٣ انظر: لسان العرب، ابن منظور، (١٢/ ١٤٣)، ومختار الصحاح، ص ٦٢.

٤ انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (١/ ٤١٩).

٥ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، (١/ ٣٨٢).

٦ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، باب الحاء مع الكاف، مادة: حكم، ١/ ٤١٩.

عند أهل السّلوك: قال التّهانويّ[1]تعريفين للحكمة هما:

أ-الحكمة معرفة آفات النّفس والشّيطان والرّياضات.

ب-الحكمة هيئة للقوّة العقليّة العمليّة المتوسّطة، وهي هيئة تصدر بها الأفعال بالمكر والحيلة وبين البلاهة وهي الحمق، والحكمة بهذا المعنى أحد أجزاء العدالة المقابلة للجور[2].

من معاني كلمة الحكمة في القرآن الكريم: ذكر أهل التّفسير أنّ الحكمة في القرآن على ستّة أوجه[3]:

أحدها: الموعظة، ومنه قوله تعالى:﴿ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴾[القمر: ٥].

الثّاني: السّنّة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾[البقرة: ١٥١].

الثّالث: الفهم، ومنه قوله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [لقمان: ١٢].

الرّابع: النّبوّة، ومنه قوله تعالى:﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص: ٢٠].

الخامس: القرآن أمره ونهيه، ومنه قوله تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النّحل:١٢٥].

السّادس: علوم القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [البقرة:٢٦٩].

---

١ التهانويّ: هو محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي كاتب وعالم هندي، صاحب موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون .لا يعرف بالتحديد سنة وفاته، وقد رجح كفيل أحمد القاسمي أن وفاته كانت سنة١١٩١ه، استنادا على مقالة بالأردية كتبها نور الحسن راشد الكاند هلوي، وذكر أن توقيع القاضي التهانوي وجد في وثائق وفتاوى إلى سنة ١١٩١ هـ ولا يوجد له توقيع بعد هذه السنة. انظر الأعلام للزركلي.

٢ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي،(١/ ٧٠١).

٣ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين، (٥/ ١٦٧٩).

المبحث الثاني:
رعاية مقاصد الدعوة في الجانب التشريعي

المطلب الأول: مقصد التدرّج في الأحكام

التدرّج في الأحكام مقصد قرآني؛ إذ به تتحقق المصالح وتدفع المفاسد، فالله سبحانه وتعالى لم ينزل شرعه دفعةً؛ بل نزله متفرقاً متدرجاً حسب الوقائع والأحداث، ناظراً إلى ما عليه الناس من حالة تستدعي الانتقال بهم تدرجاً، وكذا النبي -صلى الله عليه وسلم- ارتحل بالناس عبر هذا التدرّج حتى استقرّ دين الله في نفوسهم، ذلك كان شأن الدولة التي أقامها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان شأن الدعوة التي أحكم غرسها فبقيت، وسرى نفعُها في العالَمين، وكان شأن الرجال الذين أعدَّهم لصحبته، فالتدرج وسيلة الإحكام والإجادة، ولولاه ما أُعد الرجال، ولا هُيِّئت الأجواء، ولا بقيت الدعوة.

والتدرج في الدعوة شمل العبادات، والمعاملات، والعادات، وهذا يعني أهميته في تأليف النفوس التي عُرفت بالقسوة والقوة، ولا قانون يحكمها سوى أن صاحب القوة هو الذي يسود، فالصلاة لم تفرض جملة واحدة؛ بلفي بدايتها فرض قيام الليل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل:١-٥]، وجاء في السورة أيضاً: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٢٠﴾ {المزمل: ٢٠}. ثم ركعتي الغداة والعشي، ثم فُرضت الصلوات الخمس.

ذكر المفسرون أن الله تعالى فرض قيام الليل على المسلمين عاماً كاملاً، ثم نزل التخفيف في آخر السورة بعد عام كامل في قوله تعالى: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ ﴾ [المزمل: ٢٠]، فنسخ قيام الليل للمسلمين، وظل الأمر فرضًا على النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول الطبري [١] في تفسيره: "فَكُتِبَتْ عَلَيْهِمْ، وَأُنْزِلَتْ بِمَنْزِلَةِ الْفَرِيضَةِ حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَرْبِطُ الْحَبْلَ فَيَتَعَلَّقُ بِهِ؛ فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ مَا يُكَلَّفُونَ مِمَّا يَبْتَغُونَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ وَرِضَاهُ، وَضَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، فَقَالَ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ [المزمل: ٢٠] إِلَى ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ ﴾ ، فَرَدَّهُمْ إِلَى الْفَرِيضَةِ، وَوَضَعَ عَنْهُمُ النَّافِلَةَ، إِلَّا مَا تَطَوَّعُوا بِهِ"[٢].وروى البخاري- رحمه الله تعالى - قول عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- أنها قالت: (فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأُقرت صلاة السفر، وزِيدَ في صلاة الحضر[٣].قال ابن حجر- رحمه الله-:"إنه لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة إلا ما كان وقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد، وكان فرض الصلوات الخمس في ليلة الإسراء، كما ورد ذلك في قوله تعالى:﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧]يقول القرطبي-رحمه الله تعالى-: (وهذه الآية بإجماع من المفسرين إشارة إلى الصلوات المفروضة[٤].

---

١ الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان، مولده: سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف، توفي سنة عشر وثلاث مائة، ودفن في داره ببغداد. انظر سير أعلام النبلاء(١٤/ ٢٦٧).

٢تفسير الطبري، أبو جعفر الطبري. (٢٣/ ٣٦٠).

٣الجامع الصحيح، البخاري، (١/ ٧٩/ ٣٥٠)، مرجع سابق.

٤الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/ ٣٠٣).

سبق في علم الله-سبحانه وتعالى-أن النفس البشرية نافرةٌ عن كُلّ جديدٍ غير مألوف، لذلك كانت الأحكام تتنزّل عليها رويداً رويداً، فكلما ألفتْ حكماً وتابعت العمل فيه توالت عليها الأحكام الشرعية، ومع كل حكمٍ جديدٍ تتحوّلُ النفس من حالة التيه والضلال إلى حالة الطمأنينة والسكينة، حتى اكتمل التنزيل بقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].وهذه الفترة لا بدّ فيها من بناء المجتمع وتكوينه الذي سوف يقوم بهذا الدين خير قيام. إن بناء صرحٍ شامخ من الطوب أو الحجر قد يستغرق عامًا أو بعض عام، ولكن بناء الرجال القادرين على تحمل أمانة الدين، وتحويل الأفكار، وتصحيح المعتقدات يحتاج إلى أعوامٍ طويلة، وعمل دؤوب، وجهد؛ ولهذا كانت الحاجة إلى التدرج؛ لأنّهُ قانون الفطرة الذي يرفض الطفرة.

والتدرجُ أمرٌ مقصودٌ لتسهيل الدعوةِ ونشرها بين جميع فئات المجتمع، روى البخاري -رحمه الله تعالى-: عن ابن مسعود -رضي الله عنه-قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم-يتخوَّلنا بالموعظة في الأيام؛ كراهة السآمة علينا."[1]

يقول ابن حجر -رحمه الله تعالى-: وفيه"رفقُ النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه، وحسنُ التوصُّل إلى تعليمهم وتفهيمِهم؛ ليأخذوا عنه بنشاط لا عن ضجر ولا ملل، ويُقتَدَى به في ذلك؛ فإن التعليم بالتدريج أخف مُؤْنَة، وأدعى إلى الثبات."[2]

المطلب الثاني: مقصد قلة التكاليف

إنّ المتتبع للتكاليف الشرعية يجدها قليلة ميسورة سهلة في مقابل ما أحل الله لعباده من المباحات، وما سكت الله عنه ودخل في جملة المباح، ولعل المقصد من ذلك أن تؤدى العبادة وجميع التكاليف في كامل صورتها التي شرعها الله تعالى، ويؤيّد ذلك قول بعضهم: "تمتاز الشريعة الإسلامية بقلة

١الجامع الصحيح، البخاري، (١/ ٢٥/ ٦٨).

٢فتح الباري، ابن حجر (١١/ ٢٢٨/ ٦٤١١).

التكاليف؛ حيث سلكت طريقاً وسطاً لا مشقة فيه بكثرة التكاليف ولا إرهاق؛ ويؤيد هذا أن السلف كانوا يكرهون السؤال عن النوازل قبل حدوثها، وكانوا يكرهون الاستفتاء في المسائل المقدرة"[1].قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأقرع بن حابس حين سأل عن الحج أفي كل عام يا رسول الله؟ قال -صلى الله عليه وسلم-: "لو قلت: نعم، لوجبت. ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم"[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله فرض فرائض، فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء؛ رحمة بكم، غير نسيان، فلا تبحثوا عنها"[3].

وتكاليف الله لعباده فيها جانب القلة واليسر؛ لأن الله يعلم ضعف العباد، كما يعلم إعراضهم عن الطاعة، وأن الإنسان له مطالب في الحياة يقوم عليها ويسعى في تطويرها، سواء كانت مادية، أو جسدية، ولم يجعل الله ارتباط عباده بالتكاليف يقوم على التبادل أو النفعية، وإنما قام على الارتقاء بالروح وتزكية النفس وتطهيرها من براثن الجاهلية وحب الدنيا، فجعل الله الصلاة خمس مراتٍ في اليوم والليلة، والصيام شهراً في السنة، والزكاة كل مرة في السنة، والحج مرةً في العمر. والمتأمل في هذه التكاليف يلاحظ التنويع في العبادات فهناك عبادة بدنية، وأخرى مالية تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء، وهذا لعمري قمة التوازن التكليفي والاجتماعي بين العباد. ولا يخفى على كلِ ذي لُبٍ وبصيرةٍ فوائد وحكم قلة التكاليف في التشريع ومنها:

١ -الإرشاد إلى استنباط الأحكام التي تقتضيها مصالح الناس، فحيثما وجدت المصلحة، وُجِدَ حكم الله.

٢ -الإثارة إلى أن الشارع ينبغي له أن يبين لهم ما في تشريعه من مصالحهم، وجلب النفع لهم، ودفع الضرر عنهم. يقول تعالى في الزكاة:﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم ﴾ [التوبة:١٠٣].

---

١ التهذيب في فقه الإمام الشافعي، البغوي الشافعي (١/ ٩).

٢ الجامع الصحيح، مسلم، (٢/ ٩٧٥/ ١٣٣٧).

٣ المعجم الكبير، الطبراني، (٢٢/ ٢٢١/ ٥٨٩).

وفي الحج: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: ٢٨].

وفي القتل: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وفي الصلاة: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ولما كان التشريع الإسلامي مبني على جلب المصالح ودفع المفاسد، فإنه لم يضع إلا قواعد عامة وأموراً كلية، يدور عليها نظام الحياة في كل زمان ومكان، تاركاً التفصيلات الجزئية المختلفة يستنبطها المجتهدون والعلماء في ظل القواعد الكلية المقررة[1].فالإسلام لا يرهق المسلمين، وإنما يراعي قدراتهم وطاقاتهم التي أودعها الله سبحانه داخل أجسام ونفوس عباده. يقول تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ويقول صلى الله عليه وسلم:" إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رخصة لكم ، ليس بنسيان، فلا تبحثوا عنها "[2].

لم تثقل الشريعة على الناس بكثرة التكاليف، ولم تكلفهم رهقاً، فالله رحيم بعباده يعلم أن في عباده ضعفاً، وأن وراءهم شغلاً لقوم حياتهم وتحصيل أرزاقهم ومن ثم كلفهم بعبادات محدودة لا تستغرق كل الوقت، ولم يطلب منهم الانقطاع للعبادة كالرهبنة المسيحية حتى لا يؤثر ذلك على سير المصالح ودولاب الحياة، وفي الوقت نفسه لم تجعل الشريعة ارتباط الإنسان بالعبادة ارتباطاً خفيفاً على ندرة حتى لا يتبلد حسه، ولا تهبط روحه، وإنما شرعت له من العبادات ما يكفي لتهذيب خلقه، وسمو روحه وسلوكه، بحيث يكون دائم الاتصال بالله رب العالمين فجعلت له عبادة يومية تؤدي خمس مرات كل يوم، وتتراوح بين أجزاء اليوم كله وبعضاً من الليل، وجعلت عبادة سنوية كالصوم

---

١ انظر: التهذيب في فقه الإمام الشافعي، البغوي الشافعي، (١/ ٩).

٢ السنن الكبرى، البيهقي، (١٠/ ٢١/ ١٩٧٢٥).

والزكاة، وعبادة في العمر كالحج[1]. والمحافظة على هذه الطاعات التي أمر بها الله – سبحانه وتعالى – تجعل صاحبها في درجة الشهداء والصديقين، فهذا رجلٌ أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته، فممن أنا؟ قال: "من الصديقين والشهداء"[2]

١ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد٤٤ الواقعية والمثالية في الإسلام، (١٨/ ١٦٦).

٢ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان (٨/ ٢٢٤).

المطلب الثالث: مقصد التيسير ورفع الحرج

من المقاصد التي أولتها الشريعة اهتماماً عظيماً التيسير على الناس ورفع الحرج عنهم والمشقة، قال تعالى مبيناً هذا المقصد العظيم قال تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٢٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨]، وضعفُ الإنسان الوارد في الآيات هو ضعفٌ في الجبلّةِ ملازم له لا ينفكُ عنه، ويتضح هذا في أنّ الشخص إذا أصابته مصيبة- أياً كانت- تجده يجزع ويفزع طالباً العون والنجدة، ثمّ إذا زالت الغشاوة عنه وانقشعت سحابة المصيبة استرجع وتاب إلى الله، لهذا كان التيسير والتخفيف على العبد في أحكام الشريعة الإسلامية ولم يكلف إلا بما يطيق، فالفطر للمسافر في رمضان من اليسر في الدين، وإباحة التيمم عند عدم الماء أو الضرر باستعماله، من اليسر في الدين، وفي سيرة النبي-صلى الله عليه وسلم- أعظم شاهد على الاهتمام بهذا المقصد في الدعوة إلى الله، ففي صحيح مسلم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-قال: "إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني ميسراً "[1]، وكان -صلى الله عليه وسلم-إذا بعث واحداً من أصحابه ذكّره بهذا المقصد العظيم، فعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال:" بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا"[2].ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال " إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة "[3].وكان -صلى الله عليه وسلم- يكره من الأسئلة ما يكون سببا في تحريم أمور لم تحرم من قبل وفي ذلك يقول: " ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ

١الجامع الصحيح، مسلم، (٢/ ١١٠٤/ ١٤٧٧).

٢الجامع الصحيح، مسلم، (٣/ ١٣٨٥/ ١٧٣٢). مرجع سابق.

٣الجامع الصحيح، البخاري، (١/ ١٦/ ٣٩). مرجع سابق.

سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ"[1] ولمّا اجتمع الصحابة على صلاة التراويح؛ امتنع عن الخروج إليهم في الليلة الثالثة، وكانت العلة من وراء ذلك خشيته أن تفرض عليهم صلاة القيام فلا يستطيعون القيام بها. ومن اليسر أَنَّ أَعْرَابِيًّا بال فِي المسجِدِ، فثارَ إِليهِ النَّاسُ ليقعُوا به، فقال لهم رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «دَعُوهُ، وَأَهْرِ يقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» [2]. ومن التيسير اختياره -صلى الله عليه وسلم- لكل سهلٍ ميسورٍ، فعنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: "مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ" [3]. فالأفعال الشرعية من عبادات ومعاملات وأنكحة وجنايات وكفارات مرتبطة بالمشاق والأعباء التي يقدر عليها المكلفون، والتي لا توقع أصحابها في الحرج والضرر، ولا تؤدي بهم إلى المفاسد والمهالك، وهي أمور تتلازم وترتبط بشكل وثيق ومتين بالأفعال والأعمال والأقوال والاعتقادات الشرعية، فالتكيف الشرعي لا يقوم إلا بها، وهي تدور معه وجوداً وعدماً، والتكليف لم يعتبر تكليفاً إلا لما فيه من الكلفة الشاقة، ولما ينضوي عليه من تحمل بعض الأتعاب والإجهاد النفسي والجسدي والعقلي الذي يؤهله لمرتبة التكليف المرجوة[4].

والواجب على الدعاة والقائمين على إصلاح الناس مراعاة هذا المقصد في دعوة الناس، فما يظهر من فجورٍ وفسوقٍ على كثير من خلق الله يجب علينا الترفّقُ بهم والأخذُ على أيديهم باللين والرفق، مستحضرين هدي القرآن الكريم، وهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في دعوتنا لعباد الله، إذ مهما فرّط العبد وقصّر في جنب الله -سبحانه وتعالى- ثمّ تاب ورجع فالله يقبله، ويرحم ضعفه ويبدّلُ سيئاته حسنات، فيجب حسن الظّن بعباد الله لا إصدار الأحكام عليهم بأنهم من أهل النّار، أو أنّ

---

١ الجامع الصحيح، مسلم، (٢/ ٩٥٧/ ١٣٣٧).

٢ الجامع الصحيح، البخاري، (١/ ٥٤/ ٢٢٠).

٣ الجامع الصحيح، البخاري، (٤/ ١٨٩/ ٣٥٦٠)

٤ مقال بعنوان: رفع الحرج والتيسير في الشريعة، شبكة الألوكة.

الله لن يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، فهذا ليس من حقنا، ولا واجبنا؛ بل ولا حتى من نافلة القول؛ بل الواجب تقديم دين الله إلى الناس سهلاً ميسوراً من غير شططٍ ولا تعسفٍ، والصبر على ما يصدرُ منهم من إساءاتٍ وبذاءاتٍ، فالرسلُ صبروا على أقوامهم في السراء والضراء، متحملين جميع أنواع الأذى، والداعية إلى الله قدوته الأنبياء والرسل في ذلك مستحضراً قوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت:٣٣،٣٤]. ولا شيء يرجوه الداعية من الشدة والغلظة غير النفور والابتعاد سيما في العصر الذي نعيشه، فالناس ابتعدوا عن المنهج القويم بسبب كثرة الملهيات، وسهولة الوصول إلى المحرمات، وانتشار المنكرات في جميع زوايا المجتمع، وفتور الدعاة مع استعمال الأسلوب المنفّر مع الغارقين في الشهوات والمحرمات متناسين تذكير الله تعالى لنبيّه-صلى الله عليه وسلم-:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

المبحث الثالث:
رعاية المقاصد في آيات الدعوة

المطلب الأول: مقصد الاستجابة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

الأصل في دين الله أنه دعا إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، والإقرار بربوبيته، وإن مما جاءت به الشريعة الانقياد والإذعان لأمر الله سبحانه وتعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا يتمثّل في اتباع الأوامر، واجتناب النواهي، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢٤]. ومبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- في الأمة بشيراً ونذيراً يتلوا عليهم الآيات ويفصل لهم الأحكام؛ غاية منشودة وهدفٌ مقصود، قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ {الجمعة:٢}، فأمر الاستجابة مقصدٌ رباني من أجله خُلق الخلق، وقامت السموات والأرض، والمستجيبون لله توحيداً، وعبادةً وإذعاناً وتسليماً، هم الناجون في اليوم الذي وعد الله به في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الشورى:٤٧].(لقد منّ الله على المؤمنين)"أي أحسن إليهم وتفضل عليهم، والمنة النعمة العظيمة، وخص المؤمنين لكونهم المنتفعين ببعثة الرسول (إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم) يعني من جنسهم عربياً مثلهم، ولد ببلدهم، ونشأ بينهم يعرفون نسبه، وقيل بشراً مثلهم، ووجه المنة على الأول أنهم يفقهون عنه ويفهمون كلامه، ولا يحتاجون إلى ترجمان، ومعناها على الثاني أنهم يأنسون به بجامع البشرية، ولو كان ملكاً لم يحصل كمال الأنس به لاختلاف الجنسية. (يتلوا عليهم آياته) هذه منة ثانية أي يتلوا عليهم القرآن بعد أن كانوا أهل جاهلية لا يعرفون

شيئاً من الشرائع، ولم يطرق أسماعهم الوحي (ويزكيهم) أي يطهرهم من نجاسة الكفر والذنوب، ودنس المحرمات والخبائث (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن (والحكمة) السنّة".[1]

ونجد أن الاستجابة لأمر الله تحقّقت مع الرعيل الأول من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فما توانى أحدٌ؛ بل ولا ترددوا في تنفيذ أوامر الله تعالى أمراً ونهياً، والقرآن الكريم حافلٌ بهذه النماذج، وكذلك سنة الحبيب المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، فكان الواحد منهم يتلقَّى الأمرَ أو النهي، فيستجيبُ فورًا دون تردُّدٍ، يُحوِّلُه إلى واقعٍ ملموسٍ وفعلٍ محسوسٍ. وهذا يُنبِئُ عن عُمق إيمانٍ وصدِقِ إذعانٍ.عن أنس -رضي الله عنه-، قال: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة، وكان خمرهم يومئذ الفضيخ، فأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مناديا ينادي: «ألا إن الخمر قد حرمت» قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج، فأهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة، فقال بعض القوم: قد قتل قومٌ وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ [المائدة:٩٣][2]، وتقول عائشةُ - رضي الله عنها -:"إن لنساءِ قُريشٍ لفَضلاً، وإني - والله - ما رأيتُ أفضلَ من نساءِ الأنصار، أشدَّ تصديقًا لكتاب الله، ولقد أُنزِلَت:{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور:٣١]، فينقلَبَ رجالُهُنَّ إليهنَّ يتلُون ما أنزلَ الله إليهنَّ فيها، ويتلُوا الرجلُ على امرأتِه وابنتِه وأختِه وعلى كل ذي قرابَته، فما منهنَّ امرأةٌ إلا قامَت إلى مِرطِها المُرحَّل، فاعتجَرَت بها تصديقًا وإيمانًا بما أنزلَ الله في كتابِه، فأصبَحن وراءَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مُعتجِراتٍ كأنَّ على رُؤوسهنَّ الغِربان."[3]

---

١ فتحُ البيان في مقاصد القرآن، صديق خان، (٢/ ٣٦٨).

٢الجامع الصحيح، البخاري، (٣/ ١٣٢/ ٢٤٦٤).

٣سنن أبي داود: أبو داود، (٦/ ١٩٧/ ٤١٠١).

ورأىٰ رسولُ الله -صلىٰ الله عليه وسلم- خاتمًا من ذهبٍ في يدِ رجُلٍ، فنزعَه وطرحَه وقال: "يعمِدُ أحدُكم إلىٰ جمرةٍ من نارٍ فيجعلُها في يدِه"[1]. فقيل للرجُّلِ بعدما ذهبَ رسولُ الله -صلىٰ الله عليه وسلم-: خُذ خاتمَكَ وانتفِع به. فقال: لا والله، لا آخُذُه أبدًا وقد طرحَه رسولُ الله -صلىٰ الله عليه وسلم- . والسؤال الذي يمكننا طرحه، هل مازال شعور الاستجابة في الخلف كما رأينا في السلف؟ والإجابة علىٰ ذلك تبدو واضحة جليّة، ذلك أن الأرض لن تخلو لله من مستجيب لأمره مهما شقّت عليهم عقبات الطريق وما أكثرهم، وفي المقابل نجد أن طائفة ليست بالقليلة تقاعست عن الاستجابة لأمر الله ونأت بنفسها وهذه الفئة قسمين قسم استحوذ عليهم الشيطان فكفروا بالله وغرتهم الحياة الدنيا بشهواتها فكانوا من الكافرين، وقسمٌ آمنوا بالله لكن اجتالتهم الشياطين فتارةً يستجيبون لأمر الله مخالفين للشيطان، وتارةَ الشياطين تغريهم بالمعاصي والملذات فينغمسون فيها، وهذه الفئة كثيرة في عصرنا، ويرجع ذلك إلىٰ بُعد عهد النبوة والخلافة، ومعايشة الناس عصر التحوّلات المعرفية والعلمية – التكنولوجيا- والانشغال بسفا سف الأمور كالمسرح، والرياضة، وفي المقابل ترك الانشغال بالتربية الروحية للأسرة والفرد علىٰ السواء.

المطلب الثاني: مقصد هداية الناس وتزكية النفوس.

الخطاب القرآني كان واضحاً وصريحاً في حرصه علىٰ هداية الناس، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء:٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٦].

تناول القرآن حياة الإنسان من جميع جوانبها منذ نشأته إلىٰ دخوله الجنة أو النار، فهو القوة الفعالة التي اعتمد عليها رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم- في هداية الناس، كانت العقول والأفكار مقيدة

---

١ الجامع الصحيح، مسلم، (٣/ ١٦٥٥/ ٢٠٩٠).

فلم تستطع أن تفهم ما في هذا الكون من الأسرار والحكم، فجاء القرآن محرراً لها من القيود، وأعطى للعقل حريته في النظر والتفكير والتأمل في عجائب هذا الكون.

كان الناس قبل نزول القرآن فرقا وشيعا ومذاهب وأحزابا يعبدون آلهة شتى فقال لهم القرآن: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ﴾ [قريش:٣]، والإسلام هو دين التوحيد في هذا الوجود، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]، القرآن جاء مصححا لعقيدة التوحيد، وبالنظام الشامل لحياة الناس في كل شأن من شئونهم، بل في كل ما يحتاجون إليه من الغيبيات، وما تدركه حواسهم من المحسوسات سواء اتصلت بالدنيا التي نعيش فيها، أو الحياة الأخرى التي نحن مقبلون عليها"[1]. وهداية الناس مقصد من مقاصد القرآن الكبرى قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم:١]فإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان مقصد أولي، وإخراجهم من ظلمات المعصية والضلال إلى نور صدق الإيمان والهدى يندرج تحت المقصد الأصلي، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٧]،وقال تعالى: ﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [الطلاق:١١]. وكذلك رأينا كيف كان النبي -صلى الله عليه وسلم- حريصاً على هداية الناس جميعاً ودعوتهم إلى توحيد الله، والتمسك بالعروة الوثقى، قال صلى الله عليه وسلم" «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها"[2]، وكذلك تشجيعه -صلى الله عليه وسلم- للدعاة

١كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»، الحملاوي ص١٧.

٢: الجامع الصحيح، البخاري (٨/ ١٠٢/ ٦٤٨٣)، مرجع سابق.

في الجد والاجتهاد في تبليغ الدعوة ولأن تبلغ دعوته واحداً فيهتدي خيرٌ له من الدنيا وما فيها من نعيمٍ، قال صلى الله عليه وسلم: في وصيّته لعلي -رضي الله عنه- حين أعطاه الراية يوم خيبر "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[1]

والمتأمل في كتاب الله يجد أن القرآن قد أفرد حيّزاً واسعاً لتزكية النفوس والنهوض بها، قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ [البقرة:١٥١]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾ [آل عمران:١٦٤]."يتلوا عليهم آياته يعني القرآن ويزكيهم أي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكوا نفوسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني القرآن والسنة، وإن كانوا من قبل أي من قبل هذا الرسول لفي ضلال مبين أي لفي غي وجهل ظاهر جلي بين لكل أحد"[2]."ويزكيكم التزكية تطهير النفس مشتقة من الزكاة وهي النماء، وذلك لأن في أصل خلقة النفوس كمالات وطهارات تعترضها أرجاس ناشئة عن ضلال أو تضليل، فتهذيب النفوس وتقويمها يزيدها من ذلك الخير المودع فيها، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦ ﴾ [التين:٤،٦]، وفي الحديث: «بعثت لأتمم حسن الأخلاق»[3]، ففي الإرشاد إلى الصلاح والكمال نماء لما أودع الله في النفوس من الخير في الفطرة. وقوله: ويعلمكم الكتاب والحكمة أي يعلمكم الشريعة فالكتاب هنا هو القرآن

١: الجامع الصحيح، البخاري، (٤/ ٦٠/ ٣٠٠٩)، مرجع سابق.

٢تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٣١٧).

٣الموطأ، الإمام مالك، (٢/ ٩٠٤/ ٨).

باعتبار كونه كتاب تشريع لا باعتبار كونه معجزا ويعلمكم أصول الفضائل، فالحكمة هي التعاليم المانعة من الوقوع في الخطأ والفساد[1].

المطلب الثالث: مقصد نشر الدين

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران:٦٤]. فالآية صريحة في دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى دين الله –سبحانه وتعالى–وهي عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ "أي أعرضوا عما دعوا إليه، ﴿ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ أي متصفون بدين الإسلام منقادون لأحكامه معترفون بما لله علينا في ذلك من المنن والإنعام، غير متخذين أحداً ربا لا عيسى ولا عزيراً ولا الملائكة، لأنهم بشر مثلنا محدث كحدثنا، ولا نقبل من الرهبان شيئا بتحريمهم علينا ما لم يحرمه الله علينا، فنكون قد اتخذناهم أربابا."[2].

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ النحل: ١٢٥، تعني أن الله يريد نشر هذا الدين وإيصاله لجميع الخلق، ولا يتأتى ذلك إلا بالصبر والحكمة، ولطف العبارة، وتحمل الأذى. يقول الطاهر ابن عاشور –رحمه الله–: "والتخلق بهذه الآية هو أن كل من يقوم مقاماً من مقامات الرسول –صلى الله عليه وسلم– في إرشاد المسلمين أو سياستهم يجب عليه أن يكون سالكاً للطرائق الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وإلا كان منصرفا عن

---

١ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢/ ٤٩) مرجع سابق.

٢ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤/ ١٠٦).

الآداب الإسلامية وغير خليقٍ بما هو فيه من سياسة الأمة، وأن يخشى أن يعرض مصالح الأمة للتلف، فإصلاح الأمة يتطلب إبلاغ الحق إليها بهذه الوسائل الثلاث"[1].

الحكمة في الدعوة إلى دين الله إذا كانت مطلوبة من الصحابة، فحاجتنا إليها نحن أشدّ في ظل انصراف الدعاة، وزهدهم في أمر الدعوة، -إلا من رحم ربي-والإقبال على نزوات الدنيا واللحاق بركب المناصب، وجمع المال والتمتع به، وكذلك المدعو في تغيّر بيئي واجتماعي يحتاج إلى حكمة مقرونة بالصبر؛ لكي نبرز على أكمل وجهٍ ديناً خالياً من جميع أنواع العنف والغلو والتطرف، كما أنه مصونٌ ومحفوظٌ من كل بدعةٍ وانحراف.

ويجدر بنا أن نشير إلى الاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعي، فسهولة التواصل بالأنترنت عبر توتير، أو الفيس بوك، أو الوات ساب، أو عبر قنوات الإنستغرام، أو اليوتيوب؛ كلها قنوات يستطيع كل مسلم يدعوا من خلالها ويقوم بتوصيل رسالةٍ، أو ردّ شبهةٍ، أو تصحيح معتقدٍ، وإني لأعجب من الداعية الذي يرى أصحاب الأهواء والضلال ينشرون الباطل والضلال وينزوي خجلاً، وتارةً متغافلاً من غير أن يشارك بكلمة يتبرأ بها يوم القيامة أمام الله – سبحانه وتعالى- وربّما يشارك الواحد منّا في مجموعات إسفيرية ولا يكون له أدنى أثر في تبليغ دعوة الله لهؤلاء الناس، وللأسف يعتقد الكثير منّا أنّ الداعية هو ذلك الموظف من قبل الدولة وله راتب يتقاضاه نظير هذا العمل، وعلى هذا الفهم غابت الدعوة في محافل أهل الباطل بإظهار الحقّ وردّ الكذب والافتراء في دين الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

إن الإعلام الحديث يُعتبَر مِن أهمِّ الوسائل التي تُساعد في نشر الدعوة للدِّين الإسلامي وتَحسين الصورة الذهنية الخاطئة عن الإسلام والمسلمين في العالم، وبالتالي يستطيع مجابهة وسائل الإعلام الغربية التي تعمَل ليلاً ونهارًا على إيصال الصورة السيئة عن الإسلام، ولذلك يجب أن

---

١ انظر: التحرير والتنوير(١٤/ ٣٣٥) مرجع سابق.

نفكِّر بمِعيارية شديدة، وأن نُحسن استخدام وسائل الإعلام على المستوى العالَمي لكي تصِلَ الرسالة المراد إيصالها للجميع.

إن وسائل الإعلام الإسلامي أصبحَت ذات أهميه شديدة في نشر وتبليغ الدعوة إلي الإسلام التي بدأها الرسول -صلى الله عليه وسلم-، واستكملها الصحابة -رضوان الله عليهم-، مرورًا بالتابعين وتابعي التابعين حتى وقتِنا هذا، كما يتحمَّل علماء الأمة عبئًا أساسيًّا في تعريف غير المسلمين بالدين الإسلامي، ودعوتهم إلى التوحيد والإيمان، والدخول تحت راية الله ورسوله، والعمل على التصدِّي لمن يُحاولون تشويه صورة الإسلام في العالم، وخاصة وسائل الإعلام الغربية والصِّهيونيَّة، تلك التي تكيد للإسلام صباح مساء، لكن نذكّرهم بقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال:٣٠][1]، وشوكة الإسلام ستظلُّ قائمة على مر الدهور والسنين، وإن عجز الدعاة وأصابهم الكسل والهوان، وربّما يظهر الباطل في جولة، ولكن للإسلام جولات وصولات.

---

١ مقال بعنوان: وسائل الإعلام الإسلامي ودورها في خدمة الدعوة إلى الله، شبكة الألوكة، بتصرّف.

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه فقد وُفقنا في استعراض جملة من المقاصد والمعاني التي تهم الفرد والمجتمع، وفيما يلي استعراض لهذه النتائج:

- دعوة الناس إلى دين الله وتبصيرهم بالتمسك به وحثّهم على التزام الأوامر واجتناب النواهي مقصد قرآني أصيل. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}.

الحكمة في كل أمرٍ مطلوبة وفي الدعوة إلى الله تظهر الحاجة إليها بجلاء، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾

- السماحة ولين الجانب، والعفو والصفح سمات تميّز الداعية من غيره، قال﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾.
- دعوة غير المسلمين ومحاورتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن، والرفق بهم، وحماية الضعيف منهم، وعدم الاستجابة للظلمة والمعتدين؛ أمر رباني مقصود، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ ﴾.
- اليسر والسهولة ورفع الحرج مقصد يتميّزُ به ديننا الحنيف دون غيره عن بقية الديانات السماوية.
- من سمات هذه الشريعة التدرّج في تنزيل الأحكام، والغاية تتضح في تأليف النفوس وتطبيق الأحكام.

- من المقاصد الدعوية الارتقاء بالنفس البشرية، وتطهيرها من دنس الشرك، وعبادة غير الله -سبحانه وتعالى- ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس: ٩-١٠].
- من المقاصد الدعوية: الوسطية في دين الله تعالى فلا غلو ولا تطرّف، ولا إفراط ولا تفريط.
- إظهار الحقّ وتقديمه للناس لا يعني الغلظة والشدّة والقسوة، كما أن الدعوة بالتي هي أحسن لا تعني إبداء جانب من الحقّ وإخفاء جانب.

التوصيات: يجدر بنا أن نشير في نهاية المطاف إلى النتائج على النحو التالي:

- يجب علينا الاستفادة من وسائل التواصل الاجتماعي في خدمة الدعوة ونشر دين الله سبحانه وتعالى وإيصاله لجميع الناس دون تمييز أو حاجز الحدود.
- يجب على الدعاة تبسيط لغة الخطاب في دعوتهم للبسطاء من الناس، مراعين حال المدعوين والزمان والمكان.
- نحتاج إلى إعداد الدعاة علمياً، وتربوياً، وخُلُقياً حتى نستطيع تحقيق المقصد الأعلى وهو دخول الناس في دين الله أفواجاً.
- نحتاج إلى إفراد مساحة واسعة من مناهجنا التعليمية لتدريس مقاصد الدعوة، كما نحتاج إلى إنشاء المعاهد والمراكز التدريبية المتخصصة لتأهيل الدعاة والداعيات.
- على الداعية أن يكون واقعياً في دعوته فليست الدعوة أحلامٌ ولا أقوالٌ تذكر، وإنما هي واقعٌ وأفعالٌ تمارس على أرض الواقع.
- يجب على الداعية أن يقتدي بالحبيب المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في كل شيء، إذ الناس لا ينظرون إلى ما تحملُ من علمٍ أو معتقدٍ بقدر ما يقتدون بأخلاقك وما تظهره من أفعالٍ.

المراجع والمصادر

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، البُستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط:١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، الخياط، خالد ابن عبد الكريم [رسالة ماجستير-جامعة أم القرى].

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط: ١، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ

تهذيب اللغة: أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري، ط:١دار النشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت،٢٠٠١م.

التهذيب في فقه الإمام الشافعي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط:١الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ -١٩٩٧ م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط:١، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١ م.

الجامع الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط:١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط:٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ -١٩٦٤ م.

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الراوي، محمد عبد الرحمن، الدار القومية للطباعة والنشر،١٩٦٥م.

الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، ابن باز عبد العزيز بن عبد الله، ط:٤، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢ م١٢.

سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ط:١، الناشر: دار الرسالة العالمية، ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩ه.

فتحُ البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان، البخاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م.

القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المتوفى سنة ٨١٧هـ.

كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»، الحملاوي، عمر العرباوي، مطبعة الوراقة العصرية، تاريخ النشر: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أيوب بن موسى الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور، ط١ دار صادر، بيروت، (د.ت).

المحيط في اللغة، الطالقاني، الصاحب الكافي القاسم ابن عباد الطالقاني، تحقيق، الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط:١، عالم الكتب، بيروت، لبنان ١٤١٤هـ -١٩٩٤ م.

المسند الصحيح المختصر، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

المصباح المنير، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.

المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط:٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت).

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية - بيروت.

مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحقيق: محمد الحبيب خوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤ م.

موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد الحنفي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، ط:١، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، -١٩٩٦م.

الموطأ، الإمام مالك: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.

نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ط :١، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات، مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.